Issue 6408 Monday 22/7/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6408 الاثنين 19 من ذي القعدة 1440 هـ 22 من تموز (يوليو) 2019 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

السودان الخائر.. الثائر.. الحائر

في إنتظار أي الزوليْن (البرهان وحميدتي).. أيهما محمد نجيب وأيهما عبد الناصر ؟

فؤاد مطر
بيروت

يعد الزميل اللبناني فؤاد مطر من قلائل واكبوا التجربة السودانية حكومات مدنية وإنقلابات عسكرية على مدى نصف قرن وكان إلى جانب الاضاءة الصحافية الميدانية المتميزة على صفحات جريدة "النهار" اللبنانية ألَّف بضعة كُتب حول الشأن السوداني الكثير التعقيد.

وبحُكْم خبرته العريقة في الشأن السوداني ماضياً وحاضراً هذه القراءة له للوضع المستجد وما هو حاصل بين السودان المدني والسودان العسكري وفي أية محطة سيرسو الصراع بين الجانبيْن.

مع الإشارة إلى أن هذه المقالة البحثية التحليلية تحمل عنوان كتاب جديد للزميل قيد الإعداد، كتبها في الوقت الذي كان الجدال على أشده بين الأطياف المدنية المحتجة والطيف العسكري الذي شكَّل وقفة إحتجاج هو الآخر ضد نظام البشير... إلى أن تم التفاهم يوم الأربعاء 2019/7/17 على صيغة يرتضيها الطرفان من دون كامل الإقتناع بمضامينها.

من حق السودانيين كما سائر بني الأمتيْن المنتسبين إلى العالم الثالث المحتاج للغذاء والسلاح من دول كبرى، أن يغضبوا إذا شعروا عوَجاً في حكامهم، وأن يرتفع منسوب الغضب إذا تركهم هؤلاء الحكام يواجهون أزمات في الحد الأدنى من المطالب ولا سيما الرغيف والبنزين والدواء، وأن ينزلوا إلى الشوارع شاهرين حناجرهم إذا هم شعروا أن حاكمهم ساهٍ عنهم منزعج من غضبهم.

ومن حق المجتمع السياسي السوداني العريق أن يسجل وقفات إزاء التفرد في الحُكْم عندما لا يأخذ الحاكم في الحسبان التنوع الحزبي الراسخة جذور أطيافه من إسلاميين وليبراليين ومن يمينيين ويساريين، فيقرر هؤلاء تعبئة محازبيهم بعدما لم تُحقق التصريحات والمشاورات داخل السودان بتحفظ وخارج السودان بأعلى الصوت النتائج المرجوة.

وهذا الذي حدث مع بداية العام 2019وكيف أن تعامُل الحاكم مع الأزمة والإستهانة بالمطالب والثقة المفرطة في النفس، وعدم الإقتناع بأن الصدر السوداني ضاق من طول بقاء حاكمه في سدة الرئاسة يجددها مرة وثانية وثالثة، ورابعة وخامسة إذا تمكَّن على أساس أنه ما دام التجديد الأول هو الصعب ولقد حدث فإن أي تجديد يليه يأخذ منحى التسليم بالأمر الواقع.

يوماً بعد يوم كان الغضب العفوي يتزايد. وبات المشهد قريب الشبه بالذي حدث قبل ذلك في ميدان التحرير في القاهرة ويتزامن مع مثيل له يحدث في الجزائر. حراك عفوي لا قيادة له وإنما رؤوس كثيرة. وأما الهدف فإنه لا خلاف عليه: الحرية والتغيير.

حراك شعبي

هناك طرف آخر من واجبه أن يدلي بدلوه إلى جانب الذين يحق لهم فعْل ما فعلوه غضباً ثم حراكاً شعبياً بقي على درجة عالية من الإبهار إلى أن دخل الإرتباك في مرحلة قطْف الثمار. هذا الطرف هو قلمي يحبِّر ما يرى صاحبه أن من واجبه كاتب تشكَّل هموم السودان حيزاً من إهتماماته ومشاعره، أن يعكس على الورق إنطباعاته وتمنياته التي تجيزها حيثيات علاقته بالشأن السوداني على مدى نصف قرن عايش في معظم هذه السنوات الحلو والمر في المسيرة السياسية للسودان من شماله إلى جنوبه ومن خلال صداقات ربطتْه بالأنصاريين كما بالختميين والشيوعيين كما بالإسلاميين وبالبعثيين كما بالناصريين. وكانت ثرية ورحبة جلسات النقاش مع إسماعيل الأزهري ومحمد أحمد محجوب والصادق المهدي والدكتور حسن الترابي والشريف حسين الهندي وعبد الخالق محجوب والشيخ علي عبد الرحمن والسيدة فاطمة إبراهيم والشفيع أحمد الشيخ والرئيس جعفر نميري والفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب وعشرات القياديين المدنيين والعسكريين ورموز؟ العمل الدبلوماسي والإعلامي. وإلى ذلك كانت حصة الإهتمامات السودانية من جانبي ثلاثة مؤلفات حتى الآن لعل أهمها "الحزب الشيوعي السوداني نحروه أم إنتحر" ثم "سنوات نميري بحلوها ومرها" فثالث المؤلفات "المصالحة الوطنية الثانية في السودان. إنتكسوها أم إنتكست"؟ .. وذلك في إنتظار الكتاب الرابع الذي هو بعنوان "السودان الخائر.. الثائر.. الحائر". مؤلفات تعكس في مضامينها أحوال السودان الخائر ثم الثائر وصولاً إلى السودان الحائر على نحو ما هو حاصل بعد إختلاط الحابل المدني بالنابل العسكري فبات المشهد أقرب إلى شباك الصيادين التي يحتاج فك عُقدها إلى نصحاء مخلصين حادبين على السودان الذي هو في أشد الحاجة إلى إبراء جرَّاء سهام تكسرت نصال على نصال في كيانه الذي أنهكتْه الحساسيات في الخمسينات فبقي خائراً، ثم إقتحم الميدان عام 1964رؤساء الأحزاب في إنتفاضة بيضاء سال فيها عن غير قصْد دم طالبٍ واحد، وعندما باتوا في مواقع السلطة تبهر الناظرين وقفتهم التذكارية الصادق المهدي الأول إلى اليمين وعبد الخالق محجوب الأول إلى اليسار وبينهما الشيخ علي عبد الرحمن ومحمد أحمد محجوب وإسماعيل الأزهري وحسن الترابي وفاطمة إبراهيم، لكنهم ما لبثوا أن خيَّبوا بصراعاتهم، كما توأم الحال في لبنان راهناً، الأطياف المتطلعة إلى نعيم إستنشاق نسائم الحرية والتعبير التي قلص مساحتها المجلس العسكري الذي قاده الجنرال إبراهيم عبود مع مشاركة مدنية خجولة. وهذه الخيبة إنحسرت بعض الشيء مع مجموعة من الضباط الرواد يتقدمهم عقيد مسكونين بحلم إقتباس تجربة ثورة 23يوليو في مصر من دون التأمل بعمق في بعض سلبيات السنوات الست عشرة من تلك الثورة.ثم كانت الصدمة الأولى المتمثلة بمحاولة إنقلاب من جانب عبد الخالق محجوب وبعض الضباط الذين بدورهم لم يتعظوا مع أنهم لو تأملوا في أكثر من عبرة لكانوا إعتبروا ولكانت تجربة "25مايو "1969لم تزهق أرواح عبد الخالق محجوب والشفيع أحمد الشيخ ومجموعة من الضباط الذين لو إستحضروا حقبة السودان الخائر في زمن إبراهيم عبود وجنرالاته لكانوا آثروا التبصر بالأمور على الإندفاعة الإنقلابية ولم تُرق على أعتاب المؤسسة العسكرية دماء سُفحت بموجب محاكمة صيغت أحكامها من قبْل أن تبدأ.. تماماً على نحو المحاكمة التي إرتبطت بالفريق عمر حسن البشير الذي ما أن إنقضت بضعة أشهر على إنهائه بعمل إنقلابي بطبعة ترابية أفضل صيغة مدنية ديمقراطية للسودان برئاسة الأوكسفوردي الصادق المهدي في مثل هذه الأيام من العام 1989 حتى إرتأى إبلاغ العساكر والمدنيين على حد سواء رسالة حجَّاجية وذلك بتنفيذ حُكْم الإعدام رمياً بالرصاص يوم الثلاثاء 24 أبريل/ نيسان 1990 بثمانية وعشرين من خيرة ضباط السودان بينهم ثلاثة بالمعاش برتبة لواء وعميد بالمعاش وعقيدان أركان حرب وعقيدان وأربعة برتبة مقدم وأربعة برتبة رائد وعقيد بالمعاش ومقدم بالمعاش ورائد طيار ورائدان بالمعاش ونقيب طيار ونقيب. يومها لاحظتُ وجوماً على وجوه إخواننا السودانيين لم يسبق أن كان بهذا الأسى. ربما أراد البشير بفعله المبغوض هذا ضد زملاء السلاح إبلاغ العسكر والسياسيين بأن عليهم ألاَّ يفكروا بالعمل ضد سلطانه وبأن مَن يخالف الإنضباط والقوانين العسكرية ويعمل ضد النظام الذي يترأسه سيلقى المصير نفسه وكان في ذلك يخالف واقع حاله ذلك أنه شخصياً فعل ما أقدم عليه الثمانية والعشرون ضابطاً مع فارق أن هؤلاء إنكشف أمرهم، أو ربما ليس إلى جانبهم عقل مخطِّط من نوع عقل الشيخ حسن الترابي الذي رسم للبشير سيناريو القضاء على الحُكْم المدني الذي يترأسه الصادق المهدي نسيب الترابي، على أن يصبح الشيخ هو رئيس السلطة كما الصيغة الإيرانية والبشير حاميها يمارس بالجيش دور الحرس الثوري. ومن هنا فإن الترابي يتقاسم وزر هذه التصفية المريعة لثمانية وعشرين ضابطاً سودانياً حاولوا القيام بإنقلاب على منقلب على الشرعية. وأستحضر لهذه المناسبة كلاماً قلته بصيغة ملطفة لبعض المحيطين "الثنائي الإنقاذي" البشير والترابي ثم نشرْته في مقالة في مجلة "التضامن" بعنوان "لم يعدِّل عمر.. كيف سيحكم عمر" ولكنه حَكَم وبقي في السدة بمجموع سنوات رؤساء العهود الأربعة الذين حكموا من قبْل ولم يكونوا في المحصلة النهائية عند حُسْن المأمول منهم بدليل تدرُّج السودان من إخفاق إلى إخفاق(×). كيف وهو كما الترابي من الجماعات الإسلامية الإخوانية لم يأخذ بقول الرسول (ص) "أشد الناس عذاباً يوم القيامة مَن أشركه الله في سلطانه فجار في حُكْمه".

6 ملاحظات في إنتظار أي الزوليْن

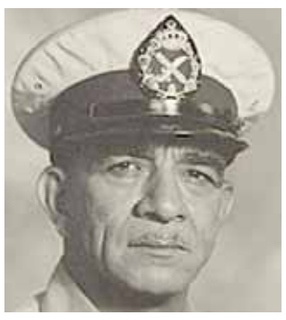

محمد نجيب

عبد الفتاح البرهان

عبد الناصر

(البرهان وحميدتي) أيهما محمد نجيب وأيهما عبد الناصر؟

وتبقى وأنا أتابع وأتأمل وأقرأ ما يصرحون به منذ خمسة أشهر ست ملاحظات يشكِّل مضمونها ما هو واجب مني قوله ككاتب عرف السودان وطناً والسوداني معدناً.

الملاحظة الأولى: كان من مصلحة الجميع لمجرد أن تم الإعلان رسمياً عن "إقتلاع" الرئيس البشير وهي مفردة غير مسبوقة الإستعمال وأخف إيلاماً من "الخلْع" وإيداعه في ملاذ آمن، إعتبار صفحة الشخص قد طويت وبالتالي عدم تضييع الوقت في حراك منقوص الرؤية، وترْك القادة العسكريين يتبادلون الأفكار ثم يتشاورون بهدوء وبمسؤولية ومن دون شروط صعبة من هنا وشروط أكثر تعقيداً من طرف أو أطراف أُخرى مع رموز المجتمع السياسي المدني.

دور ملحوظ

الملاحظة الثانية: الأخذ في الإعتبار والتسليم بأن القيادات العسكرية كانت هي التي صاحبة دور ملحوظ في حسْم الأمر وبالتالي فإن الإمعان في مطلب تسليم السلطة وأن يكون القرار في أيدي حكومة مدنية كان نوعاً من القفز غير المحسوب فوق الواقع، فضلاً عن أنه يشكِّل نوعاً من التحفيز لهذه القيادات على أن تزداد ثباتاً على رؤيتها. وثمة مسألة نفسية من المهم أخْذها في الإعتبار وهي أن هذه القيادات من العائلة السودانية الكبيرة بمعنى أن الجميع سودانيون، عساكر ومحتجون، كما أن الجانبيْن إنصهرا في لحظة الخطر فبات القادة العسكريون كما الجمع المدني بتنوع أطيافه قوة ضغط ترجمها العسكريون أهدأ ترجمة من خلال أعقل تصرُّف وبحيث لم تأخذ شكل إنقلاب على السلطة وإنما إزاحتها بالحسنى وبأقل الأضرار وذلك لأن رأس الهرم في السلطة هو إبن المؤسسة العسكرية وبالتالي فهنالك أصول يؤخذ بها في ساعات الشدة من جانب القائد العسكري الثابت في حق القائد العسكري التي أوجبت المعادلة الإحتجاجية المدنية – العسكرية إنهاء عهده، فضلاً عن الأمر الأهم وهو أن الرئيس عمر البشير ليس فقط إبن المؤسسة العسكرية وإنما هو إبن قاعدة شعبية وحزبية عريضة في السودان. واذا هدأت الأمور وأُجريت انتخابات فإن الطيف الحزبي والإسلامي الذي حكم الرئيس البشير تحت مظلته، كما الرئيس الراحل حافظ الأسد تحت المظلة البعثية، سيكون له حضوره النوعي ربما في الطبعة الجديدة من الحياة السياسية في السودان الحائر.

الملاحظة الثالثة: ياليت تم طي الهتافات الثورية والتلويحات العصيانية. فالذي جرى مجرد إنتفاضة لكثرة من الموجوعين وقلة من الجائعين وجمهور عريض من الذين لا عمل لهم وبذلك باتت مزيجاً من الجدية والحراك الفولكلوري. وهؤلاء شكَّلوا خير فرصة لقيادات حزبية قديمة ولنخبة من المثقفين وأصحاب الإختصاص يتطلعون إلى فرص في المدار القيادي، يضخون الميادين بأفكار وهتافات، ثم عندما تبدأ جولة من التشاور يتصرفون على النحو غير الموضوعي. بعضهم يريد تهميش المجتمع الحزبي السياسي والديني التقليدي وبعضهم يلوِّح بشروط تستهدف التقليل من دور القادة العسكريين الذين حسموا أمر الرهان غير الدقيق للرئيس البشير على أن الجيش معه، وذلك بإنحياز محسوب ومتدرج وعقلاني إلى جانب الغاضبين في الميادين. ومثَّل هذا التلويح بالشروط وذلك السَعي للتهميش لن يتحقق لأسباب موضوعية. فالمجتمع الحزبي الفاعل في السودان جذوره راسخة، أنصارية كانت هذه الجذور أو ختمية أو إخوانية. وهذه الجذور كانت عصية على قطْعها من جانب الجنرال إبراهيم عبود رئيس السودان الخائر ثم من جانب رئيس السودان الثائر بطبعتيْه النميرية والبشيرية. وإذا كانت حدثت بعض الإختراقات فإنها كانت عابرة. وحده الفريق عبد الرحمن سوار الذهب قرأ عمق الحقيقة فرأى أنه إذا بقي في سدة الرئاسة فإنه سيحكم بطبيعة الحال كعسكري وسيتصرف مع المجتمع الحزبي المشار إليه كما تصرف رفيقي السلاح من قبْل عبود ونميري، لذا إرتأى الإنصراف بكامل إرادته وصفاء بصيرته وترْك الأحزاب تتخبط وتسجل مرة أُخرى إخفاقاً سببه أن هذه الأحزاب تتعايش ما دامت في موقع الإعتراض لكنها تتصارع إذا باتت في الحُكْم. وهذا ما سبق حدوثه في الإنتفاضة الشعبية الأُولى التي عُرفت ثورة أكتوبر 1964 وكانت ممارسات الغاضبين فيها أكثر تعقلاً من الإنتفاضة الراهنة التي بدأت حراكاً متقطعاً وبأعداد قليلة ضد عزْم البشير على تجديد رئاسته، ثم باتت تجمعات هائلة تملأ الجو صراخاً ودخاناً من إطارات مطاطية أحرقوها ضد مجلس عسكري له نصف الفضل في إزاحة الرئيس المغضوب عليه، إقتلاعاً كان ذلك أو إستضافة في حمى القيادة العسكرية الأُولى، وربما تأثراً بالصيغة التي سبق إعتمادها في مصر مع الرئيس حسني مبارك الذي جرى الأخذ في الإعتبار بعد إنصرافه طوعاً أنه لم يغادر البلاد كما على سبيل المثال جنرال تونس زين العابدين بن علي الذي إنتزع السلطة من الرئيس الحبيب بورقيبة كما إنتزاع الجنرال عمر البشير السلطة من الصادق المهدي وتشتيت شمله وقواعده. ثم إن حسني مبارك، وهذا هو الأهم، إبن المؤسسة العسكرية وأحد رموز النصر النوعي الذي حققتْه مصر الساداتية في حرب أكتوبر 1973 حيث أنه كان قائد سرب الطائرات التي وجهت الضربة الصاعقة والمفاجئة للجيش الإسرائيلي. مثل هذا الدور لم يُكتب للبشير دور مماثل في سجله العسكري.الملاحظة الرابعة: في حال الأخذ بإنتقال رموز من الحراك الشعبي إلى كراسي السلطة من خلال تشكيل حكومة، فإن المجتمع الدولي سينتظر طويلاً لكي يتقبل الوضع المستجد ويتعاون معه. وأما دول الإقتدار العربي فإنها ستتريث كثيراً في حال كانت الحكومة ستكون خلطة تضم ممثلي الأحزاب التقليدية ومعهم بطبيعة الحال ممثل الحزب الشيوعي الذي نشط كثيراً في ميادين الإعتراض وحزب "البعث" والطيف الناصري وبعض غير الحزبيين من النخبة. وقياساً بظروف العلاقة ماضياً فإن الإنسجام بين هذه الدول وقادة الأحزاب المشار إليها إما مفقود وإما فاتر، في حين أن دول الإقتدار وبالذات المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ما أن ألمَّت بالسودان الظروف العاصفة حتى سارعت إلى إتخاذ وقفة مساندة نوعية ورأت في الممسكين بالقيادة أنهم الطرف الذي يمكن إحاطته بالمساندة والكلام معه على أساس أنه يمثِّل سلطة متماسكة هي الجيش السوداني فيما جماعة الحراك متنوعو الإنتماءات والأهداف والعلاقات ومن المبكر إعتبارهم السلطة المأمولة. وبعد فترة إستقرار يأخذ الشريك المدني دوره المأمول.

الملاحظة الخامسة: هنالك علو في الأصوات وغلو في الرؤى من جانب أطراف تنادي بالويل والثبور لعهد مضى وإنزال عقوبة الإلغاء في العهد الآتي وغير المنظورة معالمه حتى إشعار آخر. إن إسطوانة الإلغاء وبأصوات صارخة كما التهميش صدحت في زمن السودان الخائر ثم السودان الثائر بحقبتيْه "المايوية" و"الإنقاذية" وكان عائدها متاعب وعدم إستقرار وأحياناً جولات من البغضاء على حساب الوحدة الوطنية. من هنا فإن الإلغاء ليس حلاً بل إنه عداوة شأنه شأن الإجتثاث الذي ما زال قضية أساسية في نفوس البعض من رموز العمل السياسي والحزبي في العراق. فكما الدم يستسقي الدم فإن الإلغاء يجر إلى إلغاء والإجتثاث يفرز ما هو أشد إيذاءاً من الإجتثاث كما أن الإنقلاب يعقبه إنقلاب فإنقلابات، إلى أن يأخذ الوعي والسلوك الديمقراطي مكانهما في النفوس. على هذا الأساس إن البديل هو التعايش وتبادُل الإعتذار وبدء الكتابة في صفحة جديدة.

حسم نهائي

وتبقى سادسة الملاحظات وفي إنتظار الحسْم النهائي في شأن أصحاب الأدوار الحاسمة بمعنى مَن هو محمد نجيب ومن هو عبد الناصر في المجلس العسكري وإن كانت الملامح بدأت تتكون في الأفق، هي أن ما كان المرء يتمنى حدوثه ومن قبْل أن يدخل المحادد الأثيوبي على خط الوساطة بين أهل البلد الواحد خلافاً للمألوف بأن الوساطات تتم بين طرفيْن كل في وطن، هو أن يشكِّل رموز حراك الميادين والمجلس العسكري وفداً منهم يزور القاهرة طالباً من الأمين العام للجامعة العربية بذْل مسعى يكون مدعوماً بطبيعة الحال من الحُكْم المصري والطرف السعودي– الإماراتي المبادر إلى المساندة، وبذلك تتقدم اللهفة العربية على اللهفة الأثيوبية. أما وأن الجار الأفريقي حقق للمصاب العربي– الأفريقي ما كان مأمولاً من الأخ العربي تحقيقه، فإن الشكر واجب للذي توسط وأنجز عن جدارة صيغة تسوية أكد فيها أنه "أخو أخوان" بالفعل.خالص الدعاء لأولي الأمر في السودان الحائر بعدما أخذت الصحوة حقها بتقاسم السلطة وعلى قاعدة المدني أخو إخوان العسكري يتفهم الأول واقع الحال ويحمي الثاني الوطن وأبناءه من عاديات الزمن. والله المعين.

لم أشأ الكتابة عن إنقلاب أو ثورة

من كان وراء 14 تموز 1985 ؟

ادهم ابراهيم
الموصل

قبل هذا اليوم حيث تعج وسائل التواصل الاجتماعي بالغث والسمين عن هذه الحركة في كل عام منهم المؤيد او المقدس لها، ومنهم الناقم عليها وهناك الكثير ممن يتاسفون على اغتيال الملك وعائلته، وهو امر مؤسف حقا. ولكن مما لاشك فيه ان هذه الحركة او الانقلاب قد طبعت العراق بحالة عدم الاستقرار ,وحولت العراق الى ساحة احتراب الى يومنا الحاضر وبالرغم من انها كانت حقاًنقطة فاصلة في تاريخ العراق الحديث الا اننا نراها من منظور اخر في نهاية الحرب العالمية الثانية تغيرت موازين القوى وخصوصا نفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط وعلى الاخص في العراق الذي يمثل نقطة التقاء بين الدولتين الاسلاميتين تركيا وايران والدول العربية. وقد كان العراق على الدوام محل صراع الدول العظمى قديما وحديثا وقد قامت سياسة وزير الخارجية الامريكية انذاك جون فوستر دالاس على اساس ان العراق هو نقطة الارتكاز ضد الاتحاد السوفيتي . خصوصا بعد فشل احتواء مصر نتيجة اخفاق المباحثات المصرية الامريكية بشأن تمويل السد العالي، والتي ادت فيما بعد لقيام كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل بمهاجمة مصر بعد تاميم قناة السويس عام 1956لقد كان هاجس دالاس الخشية من انتشار الشيوعية في العالم. وهو صاحب نظرية حافة الهاوية لمكافحة التوسع السوفيتي، وعلى هذا الاساس قامت الاحلاف المناهضة له ومنها حلف بغداد عام 1955الذي ضم كلا من ايران والعراق وتركيا وبريطانيا واضافة الى ذلك فان الادارات الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية هيمنت عليها الشركات النفطية والمصارف الكبرى التي حاولت اعادة ترتيب العالم بما يضمن هيمنة المصالح الامريكية. فتوجهت الولايات المتحدة للسيطرة على بعض الاصول الاستراتيجية للامبراطورية البريطانية وكان العراق من اهم تلك الاصول، خصوصا بعد اكتشاف النفط فيه باحتياطيات كبيرة . وقد ادركت بريطانيا هذه السياسة فتنازلت عن بعض مكاسبها فيه. وفي وقت لاحق تخلت عن مستعمراتها لصالح امريكا شيئا فشيئا حتى انسحبت من شرقي السويس اي الخليج العربي كليا عام 1961وعندما اندلعت حرب السويس عام 1956في مصر انتشرت الدعوة للقومية العربية والتحرر في ارجاء الوطن العربي. وحتى الشيوعيين في العراق خرجوا في تظاهرات لنصرة مصر وقضيتها القومية، فاصبح الشعب العراقي شديد العداء لحكومته الموالية للانكليز . ومن هنا بدت الحاجة لتغيير نظام الحكم وبالرغم من اننا لانستطيع الجزم بان مخابرات الولايات المتحدة الامريكية هي التي اعدت لانقلاب تموز مباشرة . الا انها كانت بالتاكيد تسعى للسيطرة على مقدرات العراق في ذلك الوقت.

وقد عملت على تهيئة الظروف لتغيير نظام الحكم لصالحها تنفيذا لتوجهاتها بالاستحواذ على العراق لما يحويه من مصادر الطاقة وموقعه الاستراتيجي المهم ، وقد علمت مسبقا بهذه الحركة ووجدتها فرصة سانحة لها، وربما مهدت لنجاحها بطريقة او باخرى .

يضاف الى ذلك ضعف الحكومة الملكية وتنامي الشعور الوطني وتعاظم قوة الحزب الشيوعي والحركات القومية العربية، وتشكيل جبهة الاتحاد الوطني التي كانت مؤهلة لاستلام الحكم وماتمثله من مخاطر جمة على المصالح الامريكية ليس في العراق حسب، بل في منطقة الشرق الاوسط كلها ، كل ذلك كان دافعا قويا لتغيير نظام الحكم قبل فوات الاوان وقد كانت الحكومة الاردنية والملك حسين ذاتها على دراية بان هناك حركة لبعض الضباط ضد الحكومة الملكية الموالية لبريطانيا في العراق.

فتم تحذير المرحوم رفيق عارف رئيس اركان الجيش ، وغازي الداغستاني قائد الفرقة المدرعة الثالثة، وبعض الوزراء بخطورة الموقف، الا ان حكومة بغداد لم تحتط للامر بسبب ثقة نوري سعيد بعبد الكريم قاسم الذي كان مرافقا له فترة من الزمن واكد ذلك الدكتور المؤرخ سيار الجميل عندما تساءل في مقالته الموسومة 14تموز.. اسئلة التاريخ المثيرة (اذا كان كل من الملك حسين وشاه ايران ورئيس الحكومة التركية عدنان مندريس قد علموا بحدوث " انفجار ثوري قريب في العراق ، او محاولة انقلابية في العراق . فهل من المعقول ان كلا من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية لم تعرفا ما الذي كان يجري ؟ وما سر الطبخة ؟ وما كان يصاغ بين بغداد والقاهرة ؟ وهل هي لا تدري بتحركات الضباط الاحرار كلهم ؟ وهل هي لا تدري بما ستكون عليه اوضاع بغداد بمرور لوائين عسكريين عبرها فجر الرابع عشر من تموز ؟ وهل كانت مخابرات دول اخرى لا تعرف بحدوث اي حركة انقلابية ؟)ء ويتساءل المؤرخ نفسه : ما سر تأخير او تاجيل سفر القادة العراقيين الثلاثة الملك فيصل الثاني والامير عبد الاله ونوري السعيد الى استانبول من يوم 8 تموز الى يوم 9 تموز ..

ومن ثمَّ الى يوم 14 تموز ؟ لماذا كانت مقترحات تأجيل السفر تأتي من واشنطن عبر شاه ايران حتى يمكنه الالتقاء بهم في استانبول ؟ ان ثورة او انقلاب 14تموز 1958رغم بعض المكاسب التي حققتها الا انها تسببت في كثير من الانشقاقات والالام للشعب العراقي، ومازال الشعب يعاني من تبعاتها رغم مرور 61 عاما عليها.

وما نزف الدم الجاري الان لاسباب عديدة الا واحد من اسبابها .

ولانعلم متى سينتهي مسلسل الدم والانتقام الذي توج بحكومة الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 هذا الاحتلال الذي استكمل مابدأه الامريكان منذ سنين طويلة وحقق اهدافه على مر الزمان .

ابيض اسود

رمال الدولة وهندسة اللجان الإقتصادية

اثار حديث الدكتور جمال الاسدي مفتش عام وزارة الداخلية خلال ندوة المنتدى الثقافي لنادي الصيد شجون رمال الدولة وهي تواجه متواليات هندسة مصالح الأحزاب في العملية السياسية لعراق اليوم، دون ان تكون لهذه الدولة بسلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية التطبيقات المطلوبة في نفاذ سلطاتها على سلطة الأحزاب ولجانها الاقتصادية، ومن ثم نفاذ سلطة القانون على سلطات الافراد والجماعات المسلحة. يتضح من خلال حديث الدكتور الاسدي عن عالم المخدرات والمنافذ الحدودية وصفقات العقود الحكومية، منها صفقة شراء سيارات (المسيوبيشي) التي كثر الحديث عنها في الآونة الأخيرة، يتضح من هذا الحديث ان سلطات دولة اليوم تفتقر الى مستلزمات بناء دولة مدنية عصرية ، ففي رده على سؤالي عن الفارق بين مفاسد العملية السياسية واللجان الاقتصادية للأحزاب والفساد في مؤسسات الدولة أي منها السبب في الاخر وفقا لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة العراق، التي اعترف العراق بها في قانون رقم (35) لسنة 2007 هذه الاحكام التي استطاعت دولا مثل رواندا في افريقيا وسنغافورة في جنوب اسيا من العمل بموجب احكامها والفصل بين مفاسد الأحزاب في تحديد شفاف لطرق تمويلها ، وبين إجراءات عمل مؤسسات الدولة ، وبذلك كانت الاعلوية الدستورية والقانونية لمؤسسات الدولة لاسيما سلطة القضاء والجهات الرقابية ، حيث تمتلك هيأة الرقابة في كوريا الجنوبية صلاحيات التوصية بإعفاء الوزير من عمله لعدم تمكنه من تقليل مظاهر الفساد والالتزام بتعليمات هذه الهيئة الرقابية .

السؤال: اين الخلل ؟؟ في متون القوانين والأنظمة والتعليمات ام في طرق التنفيذ وما دور أحزاب العملية السياسية في ذلك ؟

من إجابة الدكتور جمال الاسدي على سؤالي بان كلاً من أحزاب العملية السياسية ومؤسسات الدولة بسلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية متداخلة، ربما صحيح من الناحية الواقعية، لكنه يخالف نصوصا دستورية تفصل بين السلطات، لذلك أطلق على الهيئات الرقابية وصف "المستقلة" لكن ذلك غير متوافر عمليا بسبب هذا التداخل الواقعي الذي يؤشره الاسدي في جوابه.

وفق هذه المعطيات، نتحدث مرارا وتكرارا عن مكافحة الفساد واهمية سيادة النزاهة في المجتمع ومؤسسات الدولة من خلال التزام الدولة العراقية بإحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد الداعية الى تطبيقات الحكم الرشيد في نفاذ القانون وشفافية المساءلة الوظيفية لأعلى سلطات الدولة من خلال وسائل الاعلام الاستقصائية ومنظمات المجتمع المدني والشراكة الحقيقية مع القطاع الخاص في إدارة الحكم، تبدو الإجابة على السؤال تتطلب الاتي:

أولا: من المهم ان يؤكد المجلس الأعلى لمكافحة الفساد دور الادعاء العام في ممارسة كامل دوره كـ (محامٍ عام) عن المال العام لمواجهة أي تطبيقات تقوم بها أي جماعات ،ترى مال الدولة العام (مجهول المالك) على ان تكون هذه المحاسبة وفق القانون وتضع في قفص الاتهام أي شخصية تتجاوز على المال العام ، ربما هناك صعوبة تنفيذية في ذلك ، لكن فقط اثارة هذا الجانب رسميا داخل المجلس الأعلى لمكافحة الفساد تحسب له ، وبالإمكان حصر تلك الأراضي المتجاوز عليها بأسماء جهات متعددة بعناوين ربما في بعض الأحيان سياسية وأخرى اعتبارية، او حتى في منحها لشخصيات محسوبة على بعد الجهات بابخس الاثمان ، تحتاج الى إحالة متجددة لنزاعات الملكية لمحاسبة ذلك الذي منح من مؤسسات الدولة ارضا او عقارا بثمن بخس، عندها يظهر الفصل الواضح بين مفاسد اللجان الاقتصادية للأحزاب وبين مفاسد مؤسسات الدولة.

ثانيا : اكرر ذات المعايير التي سبق وان اشرت لها بوجوب إعادة النظر في قانوني الأحزاب ومفوضية الانتخابات ، الأول بحاجة الى تحديد صريح ومباشر لمصادر تمويل الحزب وأساليب المحاسبة العلنية عنها، على ان تمتلك الدولة بجميع سلطاتها حق الفصل القانوني بين نفوذ الأحزاب و بين الوظيفة العامة بمختلف المستويات، الحالة التي ما زالت غائبة عن رمال الدولة التي تتحرك وسط معمعة مفاسد المحاصصة اللعينة وجمهور حواسم الانتخابات البرلمانية المتحزب.

اما مفوضية الانتخابات، فيفترض بمجلس النواب العمل على تكليف القضاء بتسمية المفوضين من قضاة وقانونيين فحسب دون ان يكون لهم أي تمثيل حزبي، وبقاء المحاصصة في مجلس مفوضية الانتخابات يعني ديمومة مفاسد المحاصصة في الدولة، وعدم التحول الى بنيان مشدود بمصلحة المواطن، الباحث عن أجوبة تردم فجوة الثقة بعد أعوام من صرف مليارات الدولارات في موازنات كبرى دون نتائج ملموسة على ارض الواقع.

هل تستطيع دولة عراق اليوم الاتيان بما لم تأت به الحكومات السابقة ؟؟

ما زال عراق اليوم بحاجة الى ((الإباء المؤسسين)) واعتقد بوجود شخصيات مثل الدكتور جمال الاسدي، يمكن للعراق ان ينهض كعنقاء متحررة من مفاسد المحاصصة ولله في خلقه شؤون !!

مازن صاحب
بغداد

مخدرات في مدينتي

أعيش في مدينة نائية، يكاد يكون سكانها المئة ألف من عائلة واحدة، بسبب الإرتباطات العشائرية المتداخلة والعلاقات الإجتماعية المتوارثة من الأجداد الى الأبناء، وأن كل ما يجمع سكان هذه المدينة سوق صغير لا تدخله النساء! ومجموعة مقاه على جنبات الشارع الذي يقسمها الى نصفين. كان من الغريب أن تشاهد في هذه المدينة تصرفات خارجة عن المألوف، فالمعلم إبن المحلة سيلتقي بوالدك عصرا ليخبره بأدق التفاصيل عنك في المدرسة، وإذا غاب والدك بإمكان والدتك أن تنادي على جارهم ليقصم ظهرك حين ترتكب تصرفا يغضبها، وعند مغيب الشمس لابد من العودة للبيت والتهيؤ ليوم غد، فلا وجود للكوفي شوب وتدخين الأركيلة، ولا جلوس في النوادي الليلية وتناول المشروبات الكحولية، ولا خروج للشوارع وركوب السيارات المكشوفة او الدراجات النارية.

على حين غرة؛ ضربت هذه المدينة عاصفة هوجاء! وتبدلت أحوالها، وتغيرت طباع أهلها، وما كان محرما أصبح مباحا، وما كان مكروها أصبح مستحبا، وضاع الإرث التاريخي لها وتغيرت تسميات أبرز معالمها، فمقهى حجي علي الذي كان يجتمع فيه كبار المدينة أصبح "كوفي شوب الأمراء" ومحل حلاقة "سلمان " تحول الى صالون " المدينة" لحلاقة وتجميل الرجال وبيع الخلطات لتنظيف وتبيض البشرة!

ومن كان يخاف أن يتناول شراب " الدكسون " أو حبة " الفاليوم " صار يتناول المشروبات الكحولية ويسير مترنحا في الشوارع دون خوف أو خجل. ظواهر غريبة بدأت تظهر في تلك المدينة الصغيرة، فالحبوب المخدرة أخذت تنتشر في صفوف الشباب بطريقة مخيفة، وصار كثير يتفاخر بإقتناء الأنواع الغالية منها، ولا أحد يعاني الحصول عليها كونها متوفرة بكل يسر وسهولة، وأستخدمت وسائل كثيرة لغسل دماغ الشباب وإستغلال الإحباط الذي يعانون منه، بسبب الظروف الإقتصادية، والأعيب مروجي المخدرات التي تسهل الحصول عليها، وجعلها الحل لما يعانيه الشباب من مشاكل إجتماعية وإضطرابات نفسية، فتغيرت طباع الشباب وتصرفاتهم، وبرزت مشاكل كثيرة، أبرزها إنتشار الجريمة والسرقة. كان " أبو حافظ " الشرطي الوحيد المسؤول عن حفظ النظام في المدينة، فهو يعاقب المتجاوزين على أملاك البلدية والأرصفة، ويهابه جميع أصحاب المركبات فلا يخالف منهم أحد، وهو المسؤول عن أوامر القبض على من إرتكب جرما أو مخالفة، فما أن يخر